الأرض جمعت أطيب الكور من القارات الثلاث أوروبا وآسيا وأفريقية وهي الصلة والعائد بين شرق المعمور وغربه وأهلها من أقوى العناصر ذات الحضارة القديمة المستفيضة كان لها أيامها الغر العجلة وفيها العرب والفينيقيون والحيثيون والروم والبابليون والآشوريون والكلدانيون والأرمن واليهود.

بين العرب والفرس

من أشهر القصائد الاجتماعية العربية قصيدة لقيطو بن يعمر الأيادي ينذر قومه غزو كسري إياهم وكان لقيط كاتباً في ديوان كسرى فقطع لسان لقيط وغزا إياداً. قال ابن دريد في كتاب الاشتقاق الذي نشره سنة 1854: ومن رجالهم لقيط بن معبد صاحب القصيدة التي أنذر بها إياداً لما غزتهم الفرسي وهي:

كتاب في الصحيفة من لقيط ... إلى من بالجزيرة من إياد

يعني جزيرة العرب وله قصيدة أخرى على العين مشهورة. وقد تيسرت لنا عدة مظان ومنها بعض مخطوطات فعارضنا القصيدة عليها منها هنا أصح الروايات وأضفنا إليها بعض زيادات وها هي بنصها المعجب:

يادار عمرة من محتلها لجزعا ... هاجت لي ألهم والأحزان والجذعا

تامت فؤادي بذات الجذع خرعبة ... مرت تريد بذات العذبة البيعا

بمقلتي خاذل أدماء طاع لها ... نبت الرياض تزجي وسطه ذرعا

وواضح أشنب الأنياب ذي شر ... كالأقحوان إذا ما نوره لمعا

جرت لما بيننا حبل الشموس فلا ... يأساً مبيناً ترى منهما ولا طمعا

طوراً أراهم وطوراً لا بينهم ... إذا تواضع خدر ساعة لمعا

يا أيها الراكب المزجي على عجل ... نحو الجزيرة مرتاداً ومنتجعا

أبلغ إياداً وخلل في سراتهم ... إني أرى الرأي إن لم أعص قد نصعا
يا لهف نفسي إن كانت أموركم ... شتى وأحكم أمر الناس ما اجتمعا
إني أراكم وأرضاً تعجبون بها ... مثل السفينة تغشى الوعث والطبعا
إلا تخافون قوماً لا أبا لكم ... أمسوا إليكم كأمثال الدبا سرعا
أبناء قوم تآووكم على حنق ... لا يشعرون أضر الله أم نفعا
أحرار فارس أبناء الملوك لهم ... من الجموع جموع تزدهي القلعا
فهم سراع إليكم بين ملتقط ... شوكاً وآخر يجني الصاب والسلعا
لو أن جمعهم راموا بهدته ... شم الشمايخ من ثهلان لا تصدعا
في كل يوم يسنون الحراب لكم ... لا يهجعون إذا ما غفى شجعا
خزر عيونهم كأن لحظهم ... حريق نار ترى منه السنا قطعا
ويحققون حيال الشول آونة ... وتنتحون بدار القلعة الرتعا
وتلبس ثياب إلا من ضافية ... لا تفزعون وهذا الليث قد جمعا
أنتم فريقان هذا لا يقوم له ... عصر الليوث وهذا هالك صقعا
وقد أظلكم من شطر ثغركم ... هم له ظلل تغشاكم قطعا
مني أراكم نياماً في بلهينة ... وقد ترون شهاب الحرب قد سطعا
فأشفوا غليلي برأي منكم حسن=يضحي فؤادي له ريان قد نقعا
ولا تكونوا كمن قد بات مقتنعاً ... إذا يُقال له أدفع غمة كنعا
يسعى ويحسب أن المال تخلده ... إذا استفاد طريفاً زاده طمعاً
فقنوا جيادكم واحموا ذماركم ... واستشعروا الصبر لا تشتشعروا الجزعا
وشروا تلادكم في حرز أنفسكم ... وحرز نسوتكم لا يهلكوا هلعاً

ولا يضع بعضكم بعضاً لنائبة ... كما تركتم بأعلى عيشة نجعا
اذكوا العيون وراء السرح واحترسوا ... حتى ترى الخيل من تعدائها رجعا
فإن عليتم على ظن بداركم ... فقد لقيتم بأمر حازم فزعا
هيهات لا مال من زرع ولا أبل ... يرجى لغابركم أن أنفكم جدعا
لا يلهكم أبل ليت لكم أبلا ... أن الغدور بخطب منكم قرعا
لا تثمروا المال للأعداء أنعم ... أن يظفروا يحتووكم واليلاد معاً
والله ما أنقلب الأموال منذ بدا ... لأهلها أن أصيبوا مرة تبعا
يا قوم إن لكم من قوم أولكم ... إن ضاع آخره أو ذل واتضعا
ماذا يردّ عليكم عزّ أولكم ... مجداً قد أشفقت أن يفنى وينقطعا
فلا تغرنكم دنيا ولا طمع ... أن تنعشوا بزماع ذلك الطمعا
يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيرا ... على نسائكم كسرى وما جمعا
يا قوم بيضتكم لا بما ... أني أخاف عليها الأزلم الجذعا
هو العناء الذي تبقى مذلته ... إن طار طائركم يوماً وإن وقعا
هو الجلاء الذي يجتث أصلكم ... فمن رأى مثل ذا رأياً ومن سمعا
قوموا قياماً على أمشاط أرجكم ... ثم أفزعوا قد ينال الأمن من فزعا
وقلدوا أمركم لله دركم ... رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مترفاً أن رخاء العيش ساعده ... ولا إذا عض مكروه به خشعا
لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه ... همّ تكاد حشاه تحطم الضلعا
مسهد النوم تعنيه أموركم ... يروم منها إلى الأعداء مطلعا
ما أنفك يحلب در الدهر أشطره ... يكون متبعاً طوراً ومتبعا

وليس يشغله مال يثمره ... عنكم ولا ولد يبغي له الرفعا
قد أثر على شزر مريرته ... مستحكم السن لا قحماً ولا ضرعا
كمالك بن سنان أو كصاحبه ... زين القنا يوم لاقى الحارثين معا
إذ غابه غائب يوم فقال له ... دمث لجنبك قبل النوم مضطجعا
فساوروه فألفوا أخا علل ... في الحرب يحتمل الرئبال والسبعا
مستنجداً يتحدى الناس كلهم ... لو قارع القوم عن أحسابهم قرعا
هذا كابي إليكم والنذير لكم ... لمن رأى مثل ذا رأباً ومن سمعها
فقد بذلت لكم نصحي بلا دخل ... فاستيقظوا أن خير العلم ما نفعا

الاكتشافات الحديثة في القطب الشمالي

قالت مجلة مستندات الترقي ما مثله: كانت أول حملة أرسلت لاكتشاف القطب الشمالي سنة **1553** فقام شانسلور ودورفورث وويلوغبي من الإنكليز يحاولون الاهتداء من طريق الشمال إلى طريق بحري للوصول إلى آسيا الشرقية ودعي هذا الطريق بطريق الشمالي الشرقي. وما برح حب اكتشاف القطب آخذا بمجامع العقول حتى ساق كثيرين إلى تقحم تلك الصحاري الجامدة في الشمال لكشف ما وراءها من أسرار. ولئن فترت الهمم في سبيل اكتشاف القطب من سنة **1650**إلى **1750** بالنسبة لبقية الأدوار إلا أن الرغبة في اكتشافه لم تنقطع منذ ذاك العهد ومهما أعتقد الناس بأن ما ورد في أسطورة قديمة من أن في بحار الشمال جبلاً من المغناطيس كان يدعو السفن والملاحين إلى اكتشافه فتهلك فيه ـــ وهي أسطورة من الأساطير الخيالية العارية من كل حقيقة ـــفان القطب الجغرافي من الأرض وإن لم يره

أحد حتى الآن قد أثر في العقول تأثير ذاك الجبل من المغناطيس وكان من قوة الجاذبية إن كانت السبب في هلاك أرواح كثيرة من البشر.

وظل ذاك اللغز القديم بدون حل بعد جهاد لا يوصف مدة من ثلاثة قرون ونصف ووقعت مصائب هائلة في القطب والقطب نفسه لم يكتشف على أن هذه المسألة قد فقدت في العهد الأخير شيئاً كثيراً من شأنها العملي ومع هذا فلم يفلت الباحثين علم ما يصادفونه في القطب ونزعوا من الأفكار ما كان علق فيها مدة قرون من أن وراء تلك الأسوار الكالحة من الجليد مناخاً معتدلاً وعدوه من باطل التقدير وقالوا ليس فيها إلا الجليد والثلوج وبحر عميق فيه بعض جزر تختلف كبراً وصغراً ولا تزال مجهولة وهذا ما يرونه في جوار القطب كما رأوا مثله حتى الآن في الأصقاع القطبية.

ولا يرجى من اكتشاف القطب الشمالي حل متكل ينفع العلم وما يتنافس فيه الذاهبون في هذا السبيل لبلوغ القطب ليس سوى عبارة عن ضرب من ضروب الأرتياض اللهم إلا ما كان من حيث الفائدة الجغرافية الصرفة. بيد أن الإنسانية لا يقر لها قرار إن لم يكتب لأحد شجعان الزمان أن يدوس ذلك الطرف الآخر من محور الأرض والظاهر أن هذا اليوم وإن طال العهد على قدومه غير بعيد الآن فإن ما تم من تقدم اكتشافات القطب في الخمس عشرة سنة الأخيرة قد بلغ حداً لم يكن يظن بلوغه حتى قري الأمل بأن ستكافئ تلك الهمم الماضية على جهادها قريباً والزمن حلال كل معضل. يعلم ذلك بأدنى نظر يلقي ببصره على تاريخ القطب والبعثات إليه وما بلغه الباحثون من العرض الشمالي.

قام المقدام بارنتس الهولاندي فبلغ المرة الأولى سنة 1596 الدرجة الثمانين من العرض ومضى الناس زهاء مائتي سنة حتى تيسر لهم أن يتقدموا إلى الإمام ثلاث

درجات أخرى وكان الصياد سكورسبي أول من وصل في الحقيقة إلى الدرجة الثالثة والثمانين من العرض سنة 1822ولم يصل الرحالة مارخام الأميركي إلا في سنة 1876 إلى شمالي غرانلاندا أي إلى درجة 20/ 83وبعد ستة سنين بلغ وطنية سوكفود الدرجة 24/ 83 وهكذا مضت ثلاثة قرون ولم يصل البشر إلى أكثر من الدرجة 83 في التقدم نحو القطب ولكن لم تمض أقل من خمس عشرة سنة حتى كثر التقدم في أصقاع القطب وزاد شأنه أكثر من القرون الثلاثة الأخيرة فكان الرحالة نانسن أعظم فاتح فتح عهد سيؤدي ولاشك إلى الاهتداء للقطب وافتتاحه افتتاحا أخيراً فوصل مع رفيقه جوهانسون في 7نيسان (أبريل) إلى درجة 14/ 86في شمال الأرض المعروفة بأرض فرنسيس يوسف ولكنه أضطر إلى الرجوع على أعقابه وتقدمت بعثة الدوق دي زلبروز إلى أبعد من ذلك نحو الشمال فبلغ بعض أعضائها الدرجة 33/ 86إلى شمالي أرض فرنسيس يوسف وقليلاً نحو الغرب من الجهة التي وصل إليها نانس. ووصل الأميركي في مارس 1906 إلى الدرجة 6/ 86وكان بلغ سنة 1902 إلى درجة 17/ 87

وهذا جدول بأسماء البعثات إلى القطب وما تم فيها من التقدم منذ بديء بإرسالها إلى عهدنا.

تاريخ البعثة أسم رئيس البعثة جنسيته أقصى ما وصلت إليه من درجات العرض الجهة

1553 شانسلوردورفورثوويلوغبي إنكليزا 70/ 71 شمالي أوروبا

1587 دافيس إنكليزي 20/ 72 بحر بافين

1594 بارنتس هولاندي 55/ 77 زامبل الجديدة

1596 بارنتس هولاندي 11/ 80 سبيتزبرغ
1607 هودسون إنكليزي 28/ 80 شرقي غرانلاندا
1773 فيس إنكليزي 48/ 80 سبيتزبرغ
1806 سكورسبي البكر إنكليزي 30/ 81 شرقي غرانلاندا
1817 سكورسبي الفتى إنكليزي نحو82 شرقي غرانلاندا
1822 سكورسبي الفتى إنكليزي 83 شرقي غرانلاندا
1834 غراه دانيمركي إلى ما بعد83 شرقي غرانلاندا
1876 ماركام أميركي 20/ 83 شمالي غرانلاندا
1882 سوكود أميركي 24/ 83
1895 نانسن نروجي 14/ 86 أرض فرنسيس يوسف
1900 كابي إيطالي 33/ 86 أرض فرنسيس يوسف
1906 بري أميركي 6/ 87 شمالي غرانلاندا

ومن الفوائد التي حدثت من السعي في اكتشاف القطب للعلوم ولاسيما للجغرافية أننا عرفنا من بعثة نانسن أن رأس القطب الشمالي ــ ربما كان مقابلاً من الجهة الثانية للقطب الجنوبي. مغشى من كل مكان بحر قليل العمق ليس فيه إلا بعض جزائر وأرض عظيمة ذات اتساع كبير هي غرانلاندا. وقد أثبت سفردروب وهو صديق نانس المخلص بعد بضع سنين أن الشاطئ الشمالي من غرانلاندا لوم يكن يعرف منه إلى ذاك العهد غير قسم صغير ــ لا يمتد نحو الشمال. وقد قطع الدوق دورليان سنة 1905 جزءاً من الشاطئ الشرقي الذي لم يعرف في شمال رأس بسمرك. وأحدث الاكتشافات اكتشاف بري الذي أبان أنه يوجد في شمالي غرانلاندا

بحر عميق وتيار عظيم يذهب إلى الشرق. وتبين من البعثات إلى أرجاء شمالي القارة الأميركية بأن الشاطئ الشمالي الأميركي من الغرب متصل كل الاتصال ببحر القطب الذي يسمى هناك بحر بوفور على حين أن مجموع الجزائر الغربية الموجودة في الشرق تمتد ولا شك إلى أبعد من ذلك نحو الشمال نحو أكبر مما كان يظن حتى الآن. إذ قد شوهدت في شمالي أرض اكل هبرغ في اقصى الآخذ نحو الشمال جزيرة جديد سمومها أرض كروكر.

وبينما كانت الفوائد كثيرة مهمة من السعي في ارتياد الأرجاء القطبية خلال السنين الأخيرة في شمالي أميركا كان ما بذل من الجهاد في شمالي آسيا للوقوف على أسرار المحيط المتجمد غير مثمرة أدنى ثمرة. وقد هلك سنة 1903 البارون تول الروسي الألماني ولم يبقِ أثراً وهو يحاول بلوغ أرض سانيكوف والغالب أنه هلك وأتباعه جوعاً.

ولقد حصرت دائرة الأرجاء القطبية التي لا تزال غير معروفة في دائرة ضيقة في غضون السنين الأخيرة بفضل الرحالتين نانسن وبري خاصة. وما برح القطب يغر كثيرين من أرباب الرحلات فقد مضت على الرحالة أندره الذي سافر يوم 11 يوليو 1897 من سبيتزبرغ في منطاده إحدى عشر سنة ولم يأت خبر عنه وربما لم يتعد أكثر من الدرجة الثالثة والثمانين من العرض وهو الذي ساق نفسه إلى الحتف هذا لم نقل إلى أن إقدامه على ما أقدم عليه كان من الجنون المطبق إن لم يكن الانتحار بعينه. وليس هو وحده الذي حاول أن يقطع ثلوج القطب في منطاد تخلصاً من ركوب البحر والمركبات التي لا عجل لها فقد حاول ذلك غيره كالأميركي ولمان الذي أخفق في المرة الأولى ويحاول في الثانية بلوغ النجاح.

والآمال معقودة الآن بأن النجاح ينال بري وامندسون وتكتب أسماؤهم في سجل أعظم العاملين في خدمة العلم باكتشاف القطب وكلاهما الآن يُعد بعثة إلى تلك الأرجاء المتجمدة وسيسافر الأول هذه السفرة للمرة السابعة على باخرته ليبحث عن طريق ليزغ القطب والناس يؤملون له الخير لأنه إبان رحلاته السابقة عن حذر عظيم وهمة عالية وكانت رحلاته مفيدة فكاد يبلغ الدرجة التي يرمي إليها لو لم يداهمه الشتاء وتيارات الثلوج وإذا أسعده الحظ وبدونه لا يستطيع أكبر الرجال عقلاً أن يعمل عملاً يذكر ــ فإن سفرته ستكون بعد سنة مسفرة عن افتتاح القطب وإذا خانه الحظ أيضاً في رحلته هذه فإن رصيفه أمندسون النروجي الذي يعمل لهذا القصد منفرداً سيجني ثمار هذا الظفر أول الجانين من الناس. وللأميركان والنروجيين في الثلاثين سنة الأخيرة يد في السعي لاكتشاف القطب. ويرجى أن يكون لامندسون ثمرة النجاح بعد بري إذا أخفق هذا. وبعثتا هذين الرجلين هما أهم البعثات الأخيرة وأغناها وأنفعها ويؤمل أن تنحل بهما هذه المشكلة التي شغلت بال الناس أعواماً وقروناً.

التأليف في الملوك

كان لكثير من الملوك رغبة في العلم لإشراف نفوسهم الملكية على علو قدره وجلالة أمره فمنهم من كان يرغب فيه ويقرب أهله ويسعى في نشره. ومنهم من اشتغل به وسعى في تحصيله حتى فاز بحظ وافر منه. ومنهم من زاد على ذلك فألف فيما عُني به من العلوم غير أن المؤلفين فيهم قليلون لمنع شواغل تدبير المملكة والقيام بأعباء أمورها في أكثر الأوقات من التفرغ للتأليف. ومن الملوك الذي ألفوا عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن. وفي الكثير من خزائن الكتب شيء من